

## راحت فيدرا وجاءت أنتيجون !

العقل أم العاطفة ؟ الحق أم الواجب ؟ القانون أم العرف ؟ الأمة أم الأسرة ؟  
الوطن أم المواطن ؟

هذه كلها أطراف ، يقف كل منها على النقيض من الآخر ، ولكنها في مجموعها تشكل الإنسان . الإنسان الذي تتلامس فيه الأطراف ، وتتلاق عنده المتناقضات ، فيعانيها في ضميره ، ويعاينها بتفكيره ، ثم يخرج من مرحلة المعاناة والمعاناة إلى مرحلة الاختيار والتقرير ، ومن هذه المرحلة إلى مرحلة النزوع والفعل . وعلى هذه المرحلة الأخيرة يكون الحكم على الإنسان ، أو على أفعال الإنسان ، فالإنسان هو مجموعة أفعاله كما يقول الوجوديون .

وقد يبدو سيراً من الناحية النظرية أن تؤثر العقل على العاطفة ، ونتصر للحق على الواجب ، ونغلب صالح الوطن على مصلحة المواطن . ولكن إذا نشأ التعارض ونشب الصراع ، فكم يصبح عسيراً من الناحية العملية أن نسلك أو نفعل ، بناء على هذا الاختيار أو القرار !

على أن هذا الموقف في النهاية وكما يقول « الدكتور زكي نجيب محمود » هو المقياس الذي نستطيع أن نقيس به أنفسنا ، إن كنا لانزال بدائين في عواطفنا

وسلوكتنا ، أو كنا قد قطعنا شوطاً طويلاً في طريق المدينة والحضارة .  
وإذا كان الفن كما يقول « أوسطو » هو الإيهام ، الإيهام بأن ما يحدث أمامك  
فوق المسرح قد حدث فعلاً أو يمكن أن يحدث ، وإذا كنت تريد أن تختبر نفسك ،  
وتمر بهذا الامتحان ، لتعرف أين تقف من سلم الحضارة فأليك هذه المسرحية  
( أنتيجون ) التي يعرضها المسرح القومى .

على أنها ليست ( أنتيجون ) « سوفوكليس » ، أو تلك المسرحية التي أنشأها  
الكاتب الإغريق القديم ، ولكنها ( أنتيجون ) « جان أنوى » أو المسرحية التي كتبها  
ذلك الكاتب الفرنسى المعاصر .

وكانت ما كانت نظرة كل منها إلى ( أنتيجون ) فإذا كانت ( أنتيجون )  
« سوفوكليس » قد نذرت للعذاب والموت لأسباب تتعلق بالوراثة ، أو لأنه قدر  
أرادته لها الآلهة ، وكانت ( أنتيجون ) « جان أنوى » تنذر لها لأسباب تتعلق  
بشخصيتها هي ، لأنها بمحض حريتها اختارت هذا المصير ، فالأسباب هنا  
لاهمنا ، وإنما الذى يهمنا الآن هو موقفنا نحن من ( أنتيجون ) لنسأل أنفسنا  
بعدها ، هل نشعر نحوها بالسخط والغضب ، أم نشعر بالعاطفة والإشفاق ؟ فإذا  
كان الثانى هو شعورنا ، فلاشك أننا لانزال نعيش شعوراً ووجداناً في المرحلة  
البدائية .. ولم تبلغ شيئاً من المدينة والحضارة ؟

ولكن قبل أن نحدد موقفنا من ( أنتيجون ) ، أليس من حقنا أن نسأل ما هي  
حكاية ( أنتيجون ) هذه ؟

هؤلاء الأشخاص سيقومون أمامكم بتمثيل ( قصة أنتيجون ) .  
بهذه الكلمات الصريحة المباشرة ، تبدأ ( مسرحية أنتيجون ) ، تبدأ بعد ما يرفع  
الستار عن ديكور تجريدى خالص ، فكل شيء غارق في اللون الأبيض ليدل على

أنا بعيدون عن حدود المكان ، بعيدون عن حدود الزمن . المهم هنا هو العنصر  
الإنساني ، والعنصر الإنساني فقط !!

وهؤلاء الأشخاص الذي سيقومون أمامنا بتمثيل قصة ( أنتيجون ) يتواجدون  
جميعاً على المسرح ، بطريقة لا ينتظمها وضع معين ، ويتزع أحد الأشخاص نفسه  
من بين المجموعة ويتقدم إلى الأمام قائلاً هذه الكلمات التي يفتح بها المسرحية ، ثم  
يأخذ بعد ذلك في عرض الحدث الدرامي ، وتعريف الجمهور بشخصيات  
المسرحية .

« أنتيجون » هي الفتاة الصغيرة النحيفة التي تجلس هناك ولا تقول شيئاً على  
الإطلاق ، إنها تمهد بناظرها إلى الأمام .. إنها تفكر .. تفكر في أنها على وشك أن  
تصبح « أنتيجون » ، وفي أنها ستظهر فجأة على أنها الفتاة النحيفة السراء ،  
المتطورة على نفسها ، التي لا يتم بها أحد من أفراد الأسرة ، تقف وحدها في  
مواجهة الدنيا بأسرها ، وحدها في مواجهة ( كريون ) الذي هو خالها ، وهو الملك  
في وقت واحد . إنها تفكر .. تفكر في أنها ستموت ، وفي أنها صغيرة ، وتود أن  
تعيش ولكن .. ليس هناك مفر .. فاسمها ( أنتيجون ) وعليها أن تؤدي دورها حتى  
النهاية ..

وفي هذا الإطار الوضعي الجديد ، الذي يجري فيه التعليق على المسرحية ، يتم  
تشكيل الشخصيات ، كما يتم تشكيل الحدث . وما إن ينتهي المعلق من حديثه ،  
حتى يكون جمهور النظارة قد تعرف على كلا البعدين . إننا نعرف على ( اسمين ) ،  
شقيقة « أنتيجون » ، فإذا هي فتاة غضة ، فيها طراوة الأنثى اللعوب ، تتحدث  
وتضحك ، تغني وترقص ، أما « بولينيس » فشاب حدث يتردد على الباربات ،  
ولا مانع عنده من التسكع في الطرقات ، والوقوف على الناصية ، وأما « هيمون »

فرجل شهواني ، أو هو جنسى إلى أقصى حد ، يراقص « أمجين » حتى الفجر ، ثم يعود إلى « أنتيجون » مع مطلع النهار .

والآن ، وقد تعرفتم عليهم جميعاً ، فسيكون بإمكانهم أن يقوموا بتمثيل القصة ، وتبدأ القصة في اللحظة التي تقابل فيها « ايثوكليس ، وبولينيس » ابنا « أوديب » ، تقاتلا حتى الموت تحت أسوار المدينة ، وكان على كل منها بالتناوب أن يحكم « طيبة » لمدة عام .

ويتراجع المعلق حتى يمتنع عن الأنظار ، وتغادر الشخصيات المسرح ، حتى تتغير الإضاءة ، ثم يبدأ أشخاص المسرحية في الظهور على المسرح ، كل بحسب دوره المرسوم له في مجرى الحدث .

والحدث عادى جداً ، ومعروف لدى الجميع ، جميع المثقفين بطبيعة الحال « ايثوكليس ، وبولينيس » أخوان ماتا معاً وفي يوم واحد ، أما الأول فقد أجزى لجثمانه أن يوارى في التراب ، وأن يؤدي إليه من الواجبات الدينية ما يسر نفوس الموتى ، لأنه جاد بنفسه في سبيل وطنه ، وأما الآخر ، فقد أمر الملك « كرون » ألا يدفن ولا يبكى ، وأن يترك نهباً لسباع الطير ، وذلك لأنه ناصر أعداء وطنه . ويجيء النبا إلى أختيهما « أنتيجون » فإذا تصنع ؟

إن رابطة الرحم التي تربطها بأخيها « بولينيس » تقضى عليها ألا تترك جثمانه في العراء ، بغیر أن يقبر أو تؤدى له فروض الموتى ، لكن هذا هو أمر الملك . والملك هو الدولة ، وأمره هو صالح الأمة ، وأمره صريح ، إن من يحاول دفن ذلك الشقي الآثم ، سيقى أقصى أنواع العقاب ، وسط أبناء المدينة ، وينبذ من جميع المواطنين .

والسؤال الرئيسي الذي يقفز إلى الأذهان هو .. هل تغير ماسوف يظراً على

الموقف الصارم الذى اتخذه الغريمان .. « كريون ، أنتيجون » .. فلا هى تريد أن تنازل ولا هو يريد أن يتسامح ؟ ومن هنا كان المشهد الرئيسى ، هو هذا الذى تم فيه المواجهة بين « كريون ، وأنتيجون » ، هى نصر على محاولتها لدفن شقيقها ، وإن أسلمت حياتها تبعاً لذلك للقانون ، وهو يصر على مفهومه عن النظام ، ولا يمه أى الجسدين يترك نهياً لسباع الطير ، وأبيها يدفن فى رحاب الدولة . « كريون » يمثل رجل الدولة المشغول بالمحافظة على الحق والنظام ، مهما كلفه ذلك من ثمن ، و« أنتيجون » هى الإنسانية الوفية ذات الإرادة الحرة ، التى تحافظ على العرف والواجب ، مهما كلفها ذلك من ثمن .. وبين الاثنين ينشأ الصراع ، وتدور الملاحاة .

كريون : ليس من أجل الآخرين ، ولا من أجل شقيقك ، من أجل من إذن ؟

أنتيجون : من أجل نفسى ، من أجلى أنا وحدى .  
وبعد ذلك يجرى الحدث وفقاً للإيقاع التراجيذى الحزين كما هو معروف حتى النهاية ، وتدخل الجوقة لتذكر الجمهور بالصمت الذى ران على كل شىء ، ذلك الصمت الذى يجيد الجوقة فن إلقاءه ، بعد أن تقول لهم : « لقد قضى الأمر .. لقد قضى الأمر .. »

تلك هى مسرحية ( أنتيجون ) « لجان أنوى » التى استطاع الكاتب من خلالها أن يطرح قضية من أخطر قضايا الوجود البشرى .. قضية التضحية بالذات من أجل الواجب ، من أجل العرف ، من أجل شرف الأسرة ، قضية رفض السعادة التى تقوم على أشلاء الآخرين . ولكن « جان أنوى » إذ يطرح هذه القضية فى منتصف القرن العشرين ، إنما يطرحها على مستوى حرية الاختيار الإنسانى ، لا على مستوى

القدر الإلهي المحتوم ، تماماً كما فعلت باق شخصيات « أنوى » ، كما فعلت « أيريديس » ، وكما فعلت « ميديا » ، وكما فعلت « جانيت » ، وكما فعلت « تبريز » المتوحشة ، والذي يعيننا الآن هو استضافة المخرج المسرحي الشاب « سناء شافع » لهذا النص فوق خشبة المسرح .

ولعل أهم مافي إخراج « سناء شافع » ، هو فهمه للنص وتفهمه لأبعاده الدرامية وزواياه الإنسانية ، وتقديمه دونما حذلقة أو إبهار ، ومن هنا كان النص البطل الحقيقي فوق المسرح . وفي الوقت ذاته عرف المخرج كيف يجسد مافي النص من درامية وشاعرية ، ليخرج من درامية الحدث وشاعرية الحوار ، بذلك المستوى من القصيد المسرحي الذي افتقدناه من زمان ، حيث تتكامل العناصر البشرية ممثلة في الأداء التمثيلي ، مع الأطر المادية ممثلة في الديكور والإضاءة ، مع الغلالة الفنية ممثلة في الموسيقى التصويرية والرقصات التعبيرية ، وإن كنت لا أجد مكاناً في العرض لتلك اللوحة الشعرية التي صاغ كلماتها الشاعر « كمال عمار » ، والتي يرغم عدوبتها وروعة تسجيلها أداءً وتشكيلاً ، إلا أنها كانت خارجة عن العمل أو مغممة عليه من الخارج . كذلك لم تكن الرقصتان التعبيرتان اللتان قامت بتصميمهما « هالة سرحان » ، على درجة من وضوح الإضاءة وبروز المعنى بحيث تصلان إلى الجمهور ، وخاصة رقصة الدفن الأولى ، وإن أحسنا في الرقصتين معاً برشاقة الخطوات وجالية التكوين .

أما الديكور المسرحي الذي قام بتصميمه الفنان « زوسر مرزوق » ، فلا شك أنه كان أبرز الأطر المادية في العرض كله ، فقد جمع إلى جاليات التشكيل ، دلالات التعبير ، وإلى توظيف المستويات والمساحات - فضلاً عن الكتل والفراغات - تضفير هذا كله في وحدة تشكيلية متكاملة الأبعاد ، متجانسة

الإيقاع ، وإن كنت أرى أن مستواه في تصميم الأزياء أقل بكثير منه في تصميم الديكور ، فالأزياء كانت خليطاً من الإغريق والرومان ، واللحمة العصرية في الأزياء لم تكن بارزة بما فيه الكفاية ، وكنت أتمنحله يقدم مزيجاً من الإغريق والعصرى فقط ، أو من اليوناني الحديث ، ولا أدري لماذا اختار الأبيض القاع زياً «لأنه يبرهن» والبفسجى الغامق زياً «لأنه يبرهن»؟ كما لا أدري أى زى هذا الذى كان يرتديه «كروى» ؟ .

أما موسيقى الفنان «جمال سلامة» ، فكانت موفقة إلى حد كبير ولا أقول إلى أقصى حد ، كانت موفقة في الافتتاحية ، افتتاحية الفصلين الأول والأخير ، حيث انسابت الموسيقى مع الإيقاع التراجيدى الحزين ، وكانت موفقة في الرقصتين التعبيريتين ، حيث تلاققت عذوبة الحملة الموسيقية مع رشاقة الخطوة التعبيرية ، أما إيقاعات الطبول التى استخدمت خلفية لحوار الممثلين ، فكانت تائهة بين الإيقاعات البدائية والطبول الإفريقية ، ولا أدري لماذا لم تستخدم الإيقاعات اليونانية الحديثة ، تأكيداً لما قصد إليه «جان أنوى» من تعصير الأسطورة ، وتقديمها في زى عصرى فوق المسرح ؟

وأما عن الأداء التمثيلى ، فقد توافرت له نخبة ممتازة من المسرح القومى ، في طليعتها العملاق «حمدى غيث» الذى يذكرنا في دور «كروى» بأبحاده القديمة في الأدوار التراجيدية ، لقد جمع في هذا الدور بين عقلانية التعبير المسرحى ، وفخامة الحضور التمثيلى ، واستطاع أن يكون كالمايسترو الذى يقود زمام العمل كله ، لقد كان درساً بالغا ولبيقاً في التلوين الصوتى ، والأداء الحركى ، والتعبير ل بعضلات الوجه ، ولا بحركات اليدين . ولكن بالجسد البشرى كله .

أما الجوهرة السمراء «فردوس عبد الحميد» فقد كانت تجسيدا رائعا ومروعا

لدور « أنتيجون » قدرة على الممثل ومقدرة في التمثيل ، تميز في التعبير الصوتي وامتياز في الاداء الحركي ، كانت كتلة بشرية حية قادرة على ملء فراغ الساحة المسرحية ، إنها أمل كبير للجيل المسرحي الجديد ، الذي يستطيع بمقدارة أن يحتل الصفوف الأولى ، وأن يثبت قدرة هذا الجيل على العطاء ، فإذا كانت « فيدرا » قد راحت ، فقد جاءت « أنتيجون » .

كذلك كانت « فاتن أنور » في دور « أسمن » ، واحدة من فتيات هذا الجيل ، القادرات على العطاء ، وعلى التقدم بخطى سريعة إلى الأمام ، وربما كان أهم ما يميز هذه الفنانة الواعدة تمثلها لفن الأداء لدى الممثل الحديث ، وقدرتها على التعبير عن هذه المدرسة ، لقد كانت يندأ في دور « أسمن » رغم صغر مساحة هذا الدور .

أما « رشدي المهدي » في دور « الحارس » ، فكان غاية في التوفيق ، وكان إشعاعه الأداء الكوميدي في العرض المسرحي . ولكنها الكوميديا التابعة من الكلمة ، المعبرة عن الدور ، دونما تزيّد أو افتعال ، سواء في التعبيرات أو في الحركات .

وأخيراً يجيء الممثل « نبيل الخلفاوي » في دور من أصعب الأدوار المسرحية ، إنه دور « الراوي » ، وفي ذات الوقت دور « المعلق » ، وكذلك هو دور « الجوقة » ، ثم هو بعد ذلك كله مشارك في الأحداث ، ولكنه برغم ما بذل من مجهود واضح في الوفاء بهذا الدور المركب ، لم يبين لنا أين يقف الراوي ليبدأ المعلق ، ومتى تنتهي الجوقة فيأخذ الممثل دوره في الأحداث ، كان يؤدي كل هذه الأدوار بنغمية واحدة ، وحركية واحدة ، فصاعت معالم الدور ، وبدا الدور مسطحاً بلا أعماق .

عموماً كانت مسرحية «أنيجون» عملاً مشرفاً للمسرح القومي ، ولجيل جديد من فناني هذا المسرح ، يستطيع أن يحتل الصفوف الأولى ، ويثبت قدرته على العطاء ، وعلى أن الفن المصري لا يموت بغياب فنان أو آخر ، وإنما هو يبعث من جديد ، ليكتسب حياة فوق حياة .